

اقراً لتحيا

الدكتور

حسان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب

زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن

زميل الكليات الملكية للأطباء في غلاسجو

زميل الكليات الملكية للأطباء في أيرلندا

زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب

إهداء

رحلةً إلى النور.. تبدأ بحرف..
وما بين الخبر والنور.. مسافةً اسمها النية..
ومتى خلُصت النية.. صار السطرُ سلوكاً..
والكلمةُ تسييحاً..
والكتابُ.. بوابة عروجٍ خفيٍّ إلى السماء..
فإلى كل من سيحبُّ القراءة بعد هذا الكتاب ..
أسأل الله تعالى أن يُجزل له في العطاء والثواب

حسان

المقدمة

اقرأ... فثمّة حياةٌ تنتظرُك بين السطور..
حين تمسك هذا الكتاب.. لا تراه ورقاً وحبراً فقط..
بل نافذة..

نافذة تُطل منها على عالمٍ آخر..
عالمٍ تتوهج فيه بصيرتُك..
وتنبض روحُك بالحياة..
بهذه اللحظة تبدأ رحلة جديدة..
رحلة تُعطر أيامك بريحان.. وتُزهر لياليك بياسمين..
رحلة تلوّن بها حياتك.. كيفما تشاء.. وقتما تشاء..
ربما فاتك الكثير..

أجل..
لكن ما زال في العمر متسع..
فلا تتأخر أكثر من ذلك..
امض الآن بخطى واثقة..
إلى حيث تُنعمش نفسك من جديد..
فيضيء عقلُك بنور..
وينطق لسانُك حديثاً عذباً..
يحمل الحكمة والبصيرة..

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [العلق: 3-4]

اقرأ.. لا لتكدس المعلومات.. بل لتستنير.. ثم تُنير..
اقرأ.. لتفتح أبواباً كانت فيك مُوصدة..

لتبعثَ الحياةَ في زواياك الخافتة..
ولتُصبح بعد كل كتابٍ أنتَ أنتَ.. ولكنك الأَجْمَل!..
فهذا الكتاب بين يديك..
لا يطلب منك إلا أن تفتحه بقلبك..
وتسمح له أن يُثبت فيك زهرةً وعيٍ..
وسنبلةً تغييرٍ..
اقرأ.. فكل حرف فيه هو دعوة حياةٍ لا تُشبه ما مضى..
فهل جربتَ أن تقرأ سطرًا..
فتهتز أعماقك.. وكأنه يخصُّك وحدك؟
هل توقفتَ يوماً أمام كلمة..
فرايتَ فيها بابًا واسعًا إلى نفسك.. إلى ربك.. إلى الحياة؟
فهذا الكتاب ليس عن القراءة فقط..
بل عن تلك اللحظة الرائعة التي تفتح فيها كتابًا..
فإذا بك تفتح نافذة..
وتسمع صوتًا في داخلك يقول لك: "لقد تأخرتَ قليلًا.. لكنك وصلت!"
وليس كلُّ كتاب تقع عليه عيناك هو كتابُك..
وليس كل كتاب تلمسه يدُك هو رزقُ قلبك..
بعضُ الكتب تمرُّ بك كالغريب العابر..
وبعضُ الكتب تمرُّ بك كالصديق المؤقت..
لكنَّ كتابك الحقيقي.. الذي رزقك اللهُ به.. يختلف!
ذاك الكتاب الذي يُفتح أمامك في لحظة عجيبة..
كأنه يعرف وجعلك.. ويحجب أسئلتك دون أن تطلب..
ذاك الذي تشعر معه أن الصفحات لم تُكتب في يوم ما هناك..
بل كُنبتَ لك أنت خصيصًا.. في لحظة انتظرتها طويلاً دون أن تدري!

ولربما كتاب واحد.. يهديك أكثر من ألف محاضرة..
ويشرح صدرك أكثر من ألف كلمة وعظٍ عابرة..
والقراءة ليست هواية للنخبة.. ولا رفاهية في وقت الفراغ..
إنما هي إحياءٌ للروح.. رقيٌّ للفكر.. وشفاءٌ للقلب..
القراءة ليست وسيلة للنجاح فقط..
بل هي جسر للوصول إلى معنى الوجود..
إلى الله سبحانه وتعالى..

فأول كلمة نزلت من السماء لم تكن "صَلِّ" ولا "صُمْ" ولا "جاهِد"..
بل كانت: {اقرأ} العلق: 1]

لأن البداية الحقيقية للإنسان تبدأ من القراءة..
منها يُولد الوعي.. ويتكوّن الإيمان.. وتنمو البصيرة..
وتُبَعَثُ فيك الحياة من جديد..
اقرأ لتعرف من أنت.. ولماذا أنت هنا.. وما الذي تنتظره بعد هذه الحياة..
أيها الشاب.. أيها الفتاة..
لم أكتب هذا الكتاب لأحدثكم عن "أهمية القراءة" بلغة أكاديمية جافة..
بل لأخذكم إلى رحلة قلبية..

نعيش فيها معًا.. لحظات الدهشة والدموع..
مع كتبٍ غيرت الأرواح.. وكلماتٍ أيقظت أناسًا من سباتهم..
وفتحت لهم أبواب النور..

سأحدثكم عن الكتب التي أنقذت الكثيرين..
عن أساتذة لم ألتق بهم.. لكن كتبهم صاروا أصدقائي..
عن لحظات بكيئٍ فيها من جملة.. وارتجفتُ روحي من سطر..

اقرأ لتبعث من جديد

فثمة بعثٌ يحدث وأنت على قيد الحياة..
حين تقرأ كتابًا صادقًا فيه نبضٌ.. فيه حكمةٌ..
فيه نفسٌ من روح مؤلفه..
تُبَعثُ من جديد..
تُبَعثُ من دوامة الأيام المتشابهة..
من حياةٍ مزدحمة بالضجيج.. خالية من المعنى..
فقد تمضي أعوامٌ وأنت كما أنت.. لا جديد فيك..
ثم تقرأ كتابًا.. فتخرج منه وأنت إنسانٌ آخر..
ف"اقرأ" ليست أمرًا فقط بفتح الكتاب.. بل هي أمرٌ بفتح القلوب!
ففي زمنٍ كثرت فيه الشاشات..
وباتت أعيننا تتغذى على الضوء الأزرق أكثر من ضوء الفجر..
نحتاج إلى الكتاب كما نحتاج الهواء..
نحتاجه لا لنحصل على درجات أعلى.. أو لنبدو أكثر ثقافة..
بل لننجو!
نعم.. القراءة نجاة!
نجاة من الضياع.. من السطحية.. من فقدان الذات..
ففي زحام هذا العالم..
تجد الكتابَ هو المكان الوحيد الذي يجلس معك بصمت..
ويقول لك: "أنا هنا من أجلك.. اقرأني وسأفتح لك أبوابي".
وما أجمل قول المتنبي:
أَعزُّ مكانٍ في الدُّنا سَرَجٌ سابح..
وخيرُ جليسٍ في الزَّمانِ كتابٌ

أيها القارئ .. أيتها القارئة ..

ليس هذا كتابًا عن القراءة من باب الترف ..

إنه محاولة لإعادة روحك إلى الكتاب ..

ولتكتشف فيه أن القراءة ليست فعلاً عقلياً فقط .. بل فعلٌ روحاني أيضاً ..

في هذا الكتاب .. سأروي لك كيف يمكن لكلمة أن تُوقظك .. واطر أن يُغيرك ..

وصفحة أن تُحوّلك من مجرد عابر في الحياة ..

إلى إنسان يعيشها بوعيٍ وحكمة!

سأحدّثك عن أبطال لم تُصوّرهم الكاميرات .. لكن كُتبتهم ألهمتني ..

سأحدّثك عن شباب وفتيات .. ظنوا أن القراءة مملّة ..

فإذا بها مفتاح حياة!

وسأدعوك لا لتقرأ الكتب فقط .. بل لتقرأ نفسك ..

لتقرأ عظمة الله في خلقه .. لتقرأ الناس .. لتقرأ الحياة ..

وحين تُمسك كتاباً .. لا تسأل: كم صفحة فيه؟

بل اسأل: كم قطعة من روحي سأجدها بين صفحاته؟

وحين تفتح الغلاف .. لا تتوقع معرفةً فقط ..

بل انتظر أن يخرج إليك ظلُّك القديم .. ويقول لك: "لقد افتقدتُك" ..

فبعض الكتب لا تُدرّسك .. بل تُريّك ..

لا تُناديك باسمك .. بل تُناديك من داخلك ..

كأنها تهمس لك بما لم تجرؤ أن تعترف به لنفسك ..

ففي زمن الضجيج يظل الكتاب الهادف .. هو السكينة التي تمشي على ورق ..

هو محرابٌ من الحبر ..

تسجد فيه عيناك .. ويقوم فيه قلبك ..

هو رفيقُ الليل .. ونسيمُ الفجر ..

وصاحبك في الرحلة إلى الله ..

ولعلّ بين السطور ما يُصلح كسورك..
وما يُنبت في قلبك وردةً من نُور..
ولا شك أن أعظم وأجلّ كتاب هو "كتاب الله"..
فالقُرآن ليس كلمات تُقرأ فقط .. بل حياة تُغيّر القلوب والناس والأقدار!
اقرأ.. لأن كل لحظة تقضيها في قراءته..
هي لحظة تنجو فيها من السقوط..
اقرأ.. لأن الله يحب الذين يطلبون النور..
اقرأ.. لأنك حين تقرأ.. تصبح نفسك كما أرادها الله أن تكون..
سأدعوك لتقرأ.. لا لكي تحفظ.. ولا لكي تتباهى..
بل لكي تكتشف نفسك من جديد..
سأدعوك لتقرأ..

لأن الله سبحانه وتعالى يُحب من يتفكّر "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"
[الزمر: 9]

سأدعوك لتقرأ..

لأن في زمن الجوالات والعناوين السريعة..
ما زال الكتاب هو المكان الوحيد الذي يُصغي إليك دون أن يقاطعك..
ويأخذك دون أن يستهلكك..
نعم الأنيس إذا خلّوت كتاب..
تلهُو به إن خانك الأصحاب ..
لا مُفشيًا سرًّا إذا استودعته..
وتنال منه حكمةً وصواب ..
افتح الكتاب كما يفتح الطفل عينيه على العالم لأول مرة..
بدهشةٍ وابتسامةٍ فخورة..

لأنه علمٌ شيئًا جديدًا.. واستطاع ما كان يظنُّه بعيد المنال..

فالقراءة ليست نهاية.. بل بداية لطريقٍ لا ينتهي..
طريق يفتح لك أبواب قلبك وعقلك..
ويقودك نحو أن تكون أنت.. نسخةً أروع مما كنت..
اقرأ.. فلعلك حين تنتهي من هذا الكتاب..
لا تصبح قارئاً محترفاً فقط..
بل -إن صدقت النية-.. تُصبح روحك أرقى سموًا..
وعيونك أقوى بصيرةً.. وقلبك أكثر إيماناً..
وتبدأ أنت بكتابة كتابك الحقيقي.. في الحياة..
أسأل الله تعالى أن يجزل الثواب لقارئه وكتابه وناشره.. ولا يسعني إلا أن أشكر الأستاذ عماد الدين دولة
مدير دار القلم الذي أوحى إليّ بفكرة هذا الكتاب.. فجزاه الله عني كل خير..
اللهم إن كنتُ قد وفقتُ فيه فلك الحمد والمنة ..
وإن كنتُ قد قصرتُ فمن نفسي.. وما توفيقي إلا بالله..

حسان شمسي باشا